

تفسير ابن كثير

يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ ^ج أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ

ثم قال : (يوم يبعثهم الله جميعا) أي : يحشرهم يوم القيامة عن آخرهم فلا يغادر منهم أحدا ، (فيحلفون له كما يحلفون لكم ويحسبون أنهم على شيء) أي : يحلفون بالله عز وجل ، أنهم كانوا على الهدى والاستقامة ، كما كانوا يحلفون للناس في الدنيا ؛ لأن من عاش على شيء مات عليه وبعث عليه ، ويعتقدون أن ذلك ينفعهم عند الله كما كان ينفعهم عند الناس ، فيجرون عليهم الأحكام الظاهرة ؛ ولهذا قال : (ويحسبون أنهم على شيء) أي : حلفهم ذلك لربهم ، عز وجل . ثم قال منكرًا عليهم حسبانهم (ألا إنهم هم الكاذبون) فأكد الخبر عنهم بالكذب . وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا ابن نفيل ، حدثنا زهير عن سماك بن حرب ، حدثني سعيد بن جبير ؛ أن ابن عباس حدثه : أن النبي - صلى الله عليه وسلم - كان في ظل حجرة من حجره ، وعنده نفر من المسلمين قد كان يقلص عنهم الظل ، قال : " إنه سيأتيكم إنسان ينظر بعيني شيطان ، فإذا أتاكم فلا

تكلّموه " . فجاء رجل أزرق ، فدعاه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فكلّمه ، فقال ؛

" علام تشتمني أنت وفلان وفلان ؟ " - نفر دعاهم بأسمائهم - قال : فانطلق الرجل

فدعاهم ، فحلفوا له واعتذروا إليه ، قال فأنزل الله ، عز وجل : (فيحلفون له كما

يحلفون لكم ويحسبون أنهم على شيء ألا إنهم هم الكاذبون) وهكذا رواه الإمام أحمد من

طريقين ، عن سماك به ورواه ابن جرير ، عن محمد بن المثنى ، عن غندر ، عن شعبة ،

عن سماك ، به نحوه ، وأخرجه أيضا من حديث سفيان الثوري ، عن سماك بنحوه . إسناده

جيد ولم يخرجوه . وحال هؤلاء كما أخبر الله تعالى عن المشركين حيث يقول : (ثم لم

تكن فتنتهم إلا أن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين انظر كيف كذبوا على أنفسهم وضل

عنهم ما كانوا يفترون) [الأنعام : 23 ، 24]